﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: 5 - 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قبلَهما:

عـذابُ الكافر شديد، ونعيم المؤمن ممتدٌّ ورغيد

لمّا أوجز في جزاء الكافرين، أُتبِع بجزاء الشّاكرين، وأُطنب فيه؛ تأكيدًا للتَّرغيب، فإنَّ النُّفوس بعد كسر الوعيد لها تهتزُّ لأدنى وعدٍ وأقلِّه فكيف بأتمِّه وأجلِّه[1]؟!.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مِزَاجُهَا﴾: أصل (مزج) يدلُّ على خلط الشَّيء بغيره[2]. مَزَج الشرابَ: خَلَطه بغيره[3]. ومِزاج الشَّراب: ما يُمزَج به الشَّراب. قال تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾[4]. ومِزاج البدن: ما رُكِّب عليه مِن الطَّبائع التي هي المِرَّتان، والدَّم والبلغم التي اعتدالها سبب صحَّته وسقمه[5].

2) ﴿كَافُورًا﴾: الكُفر في اللُّغة: سَتر الشَّيء، ووصف اللَّيل بالكافر لستره الأشياء بظلامه[6]. وأصل (كفر) يدلُّ على السَّتر والتَّغطية[7]. وكُفْر النِّعمة وكُفرانُها: سَترُها وجَحدُها بترك أداء شكرها، وهو ضدُّ الشُّكر، قال الله تعالى: ﴿فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ﴾ [الأنبياء: 94]، وكَفَر نِعْمَة الله يكفُرُها كُفورًا وكُفْرانًا، والكافور: اسم أكمام الثَّمرة التي تكفرُها[8]. ونوع مِن الطِّيب[9]. ومعنى: ﴿مِن كَأۡسٖ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 743، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 169، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 377.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (مزج).
(3) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات: (مزج).
(4) الرّاغب، المفردات: (مزج).
(5) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والجوهريُّ، الصِّحاح، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (مزج).
(6) الرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (كفر).
(7) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (كفر).
(8) ابن منظور، لسان العرب، والرّاغب، المفردات: (كفر).
(9) الجوهريُّ، الصِّحاح: (كفر).

﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ هي عين تُسمَّى الكافور، وقد يكون: كان مزاجها كافورًا الذي هو الطِّيب[1].

3) ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾: أصل (فجر) يدلُّ على التَّفتُّح في الشَّيء[2]. فجَرْت الماءَ أفجُرُه فجْرًا، فانفجر؛ أي: بجستُه فانبَجَس، وفجَّرتُه فتفَجَّر. والفَجْر: شقُّ الشَّيء شقًّا واسعًا. ومنه قيل للصُّبح: فجْرٌ؛ لأنَّه يشُقُّ اللَّيل شقًّا واسعًا، وهو ضوء الصُّبح. والفُجور: شَقُّ ستر الدِّيانة[3]. والفَجَر: الكَرَم، والتَّفجُّر في الخير[4].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بعد أن بيَّن الحقُّ ﷻ في الآية السّابقة ما أعدَّه للكافرين، انتقل السّياقُ القرآنيُّ لذكر ما أعدَّه الله لعباده المؤمنين الطّائعين في الجنَّة مِن هذا الشَّراب اللَّذيذ مِن الخمر المخلوطة بأحسن أنواع الطِّيب، وهو ماء الكافور الذي تنتعش له النُّفوس، وتحبُّه القلوب والأرواح؛ لطيب رائحته، وجمال شكله، والذي جعله الله سبحانه عينًا في الجنَّة يشرب منها عبادُه المقرَّبون، يتصرَّفون فيها ويُجْرونَها حيث شاؤوا وأين شاؤوا مِن قصورهم ودورِهم ومجالسهم ومحالِّهم؛ جزاءً لهم على صبرهم، واجتهادهم في طاعة ربِّهم[5].

مِن ثواب الله لعباده الأبرار ما أعدَّه لهم مِن هذا الشَّراب اللَّذيذ المختار

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

علَّة فصل الآية عن سابقتها:

هذه الآية "استئنافٌ بيانيٌّ ناشئٌ عن الاستئناف الذي قبله مِن قوله: ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۠﴾ الآية؛ فإنَّ مَن عَرَفَ ما أُعِدَّ للكَفور مِن الجزاء يتطلَّع إلى معرفة ما أُعِدَّ للشّاكر مِن الثَّواب"[6]

مِن العادة السُّؤال عن حال الشّاكرين بعد بيان حال الكافرين

(1) الأزهريُّ، تهذيب اللُّغة، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (كفر).
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فجر).
(3) الجوهريُّ، الصِّحاح، والرّاغب، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (فجر).
(4) الجوهريُّ، الصِّحاح: (فجر).
(5) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 294، وطنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 217 - 219.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 379.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ هو "شروعٌ في بيانِ حُسنِ حالِ الشّاكرينَ إثرَ بيانِ سوءِ حالِ الكافرين"[1].

الغرض من التّوكيد بـ﴿إِنَّ﴾:

أُكِّـد الخبر عن جزاء الشّاكرين لـقـطـع إنـكـار المشركين

﴿إِنَّ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ أوثر فيه "تأكيد الخبر عن جزاء الشّاكرين لدفع إنكار المشركين أن يكون المؤمنون خيرًا منهم في عالم الخلود، ولإفادة الاهتمام بهذه البشارة بالنِّسبة إلى المؤمنين"[2].

معنى اللام ودلالتها في ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾:

الأبـرار لربّهم شاكرون، وهم بالنّذر موفون

يصحُّ أن تكون لام ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ للجنس، فيدخل فيه كلُّ بَرٍّ، ويصحُّ أن تكون للعهد الذِّكريّ، فيكون مرادًا به الشّاكرون الذين ذُكِروا في الآية قبلها مِن قول الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾، والموفون بالنَّذر والمطعمون الطَّعام الذين ذُكِروا في الآية بعدها. وهما توجيهان متآزران، فالأبرار يشمل كلَّ مَن اتَّصف بالبِرّ ويدخل فيه دخولًا أوَّليًّا الشّاكرون الموفون بالنَّذر المطعمون الطَّعام على حبِّه مسكينًا ويتيمًا وأسيرًا.

سرُّ إيثار التّعبير بـ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ دون غيره:

يُثني الودود على الأبرار، تعريضًا بذمّ الفُجّار

في المراد بالأبرار في الآية أقوال: أحدُها: أنَّهم الصّادقون، والثّاني: أنَّهم المطيعون[3]، والثّالث: أنَّهم الشّاكرون[4]؛ لتقدُّم ذِكرهم في قوله تعالى: ﴿إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. وقيل: الأبرارُ: واحدُهم بَرٌّ، و"البَرُّ: الذي لا يُضمِر الشَّرَّ، ولا يؤذي الذَّرَّ"[5] وأوثر إيرادهم

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 71، والبروسويُّ، روح البيان 10/ 262، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 170.
(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 379.
(3) الماورديُّ، النُّكت والعيون: 6/ 164.
(4) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 379.
(5) القُشيريُّ، لطائف الإشارات: 3/ 661.

بعنوانِ البِرِّ للإشعارِ بما استحقّوا بهِ ما نالوه مِن الكرامةِ السَّنيَّةِ"[1]، و"زيادةً في الثَّناء عليهم"[2].

الغرض مِن تقديم المسند إليه ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ على خبره الجملة الفعليَّة ﴿يَشۡرَبُونَ﴾:

يواجَه الكُفّار بما يدحض إفكَهم، ويقطع شكَّهم

أوثر تقديم المسند إليه: ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾ على المسند الفعليّ: ﴿يَشۡرَبُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ يَشۡرَبُونَ مِن كَأۡسٖ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ لإفادة تقوية الحكم وتأكيده، وهو هنا إثبات نعيم الأبرار في الجنَّة وقصورها، وتروّيهم وتلذُّذهم بشرابها، والسِّرُّ في إفادة التَّعبير بالمسند الفعليّ تقويةَ الحُكم هو: تكرُّر الإسناد؛ لأنَّ الفعل فيه قد أُسنِد مرَّتين: مرَّة إلى المسند إليه ﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾، ومرَّة إلى ضميره المتَّصل به ﴿يَشۡرَبُونَ﴾ العائد أيضًا على المسند إليه، فهو بمثابة التَّعبير بجملة فعليَّة مكرَّرة، فيقوى الحكم ويثبت في الذِّهن[3].

دلالة التَّعبير بالمضارع ﴿يَشۡرَبُونَ﴾:

متاع الجنَّة دائم غير ممنون، والأبرار فيه منعَّمون

يفيد التَّعبيرُ بالمضارَعَة معنى التَّجدُّد والاستمرار، وفي إيثار التَّعبير به في قوله تعالى: ﴿يَشۡرَبُونَ﴾ دلالة على تجدُّد النَّعيم وديمومته، وأنَّه باقٍ لا ينقطع، كما أفاد كذلك تصوير حال هؤلاء الأبرار المنعَّمين في جنان الخلود، وكأنَّنا نرى الكؤوس في أيديهم مترَعَة بأجود الخمور وأطيبها وألذِّها.

معنى ﴿مِن﴾ ودلالتها في ﴿مِن كَأۡسٖ﴾:

أفاد (مِن) معنى ابتداء الغاية، وليس لما دلَّ عليه مِن النَّعيم نهاية

الأصل في معنى (مِن) أنَّه موضوع للدَّلالة على ابتداء الغاية[4]، وهو بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿مِن كَأۡسٖ﴾؛ ذلك أنَّه لمّا كانت

(1) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 71، والبروسويُّ، روح البيان 10/ 262، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 170.

(2) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 379.

(3) حسن عبد الرّازق، البلاغة الصّافية، ص: 125، وحسن طبل، علم المعاني، ص: 125.

(4) سيبويه، الكتاب: 4/ 224، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 379، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 459، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 75.

الكأسُ مبدأ شُربِهم أُتيَ معها بـ﴿مِن﴾ الدّالَّة على ابتداء الغاية[1] وهذا على تأويل الكأس بالإناء المملوء خمرًا، أمّا على تأويل الكأس بنفس الخمر فـ﴿مِن﴾ على هذا التَّأويل تبعيضيَّةٌ أو بيانيَّةٌ[2]؛ أي: يشربون بعض هذا الخمر. وفيه معنى الابتداء أيضًا، فإنَّ هذا البعض هو مبدأُ شربهم.

بلاغة التَّعبير بالمجاز المرسَل في قوله تعالى: ﴿كَأْسٍ﴾، ونكتة تنكيره وإفراده:

خمر الجنَّة فريدة فذَّة، بالغة الطِّيب واللَّذَّة

"الكأس في اللُّغة: الإناء إذا كان فيه الشَّرابُ. فإذا لم يكن فيه الشَّراب لم يُسَمَّ كأسًا"[3]. وقد "تُطلَق على نفس الخمر أيضًا على طريق ذِكر المحلِّ وإرادة الحالِّ، وهو مجاز مرسل، وهو المراد هنا عند الأكثر، حتَّى روي عن الضَّحّاك أنَّه قال: كلُّ كأس في القرآن فإنَّما عُني به الخمر"[4] وأمّا إفراد ﴿كَأْسٍ﴾ فللنَّوعيَّة، والمراد به الجنس، وأمّا تنكيرُه فلتعظيمه في نوعه[5].

نكتة وصف الكأس بجملة اسميَّة ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾، ودلالة التَّعبير بـ﴿كَانَ﴾:

مزاج الكأس لا يفارقها، والملتذُّ بها لا يُتارِكها

أفاد التَّعبير بفعل الكون في قوله تعالى: ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا﴾ عدَّة نكات بلاغيَّة، منها:

أنَّ "ذِكر فِعلِ الكون يدلُّ على أنَّ له شأنًا في المزج عظيمًا يكون فيه كأنَّه مِن نفس الجِبِلَّة، لا كما يُعهَد"[6]. وأنَّه أفاد "أنَّ ذلك مزاجها لا يفارقها؛ إذ كان معتادُ النّاس في الدُّنيا نُدرةَ ذلك المزاج لغلاء ثمنه

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 360 - 361، والهرريُّ، حدائق الرَّوح والرَّيحان: 30/ 486.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 71، والبروسويُّ، روح البيان 10/ 262، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 170.
(3) الزَّجّاج، معاني القرآن وإعرابه: 5/ 258.
(4) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 170، والشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 451 والبروسويُّ، روح البيان: 10/ 262.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 380.
(6) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 136، والشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 451.

وقلَّة وجدانه"[1]. وأنَّه جاء "على منوال ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾﴾ [النِّساء: 17]. والمجيء بالفعل للتَّحقيق والدَّوام.

وقيل: ﴿كَانَ﴾ تامَّةٌ مِن قوله تعالى: ﴿كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: 117]"[2]؛ أي: أنَّه كانَ كافورًا بتكوين الله تعالى له، وخلقه إيّاه[3]. أو "المعنى: كان مزاجُها في عِلم الله، وحُكمِه كافورًا"[4].

الغرض من الإضافة في ﴿مِزَاجُهَا﴾، مع بيان ما يعود عليه الضَّمير:

"ضمير ﴿مِزَاجُهَا﴾ عائد إلى ﴿كَأْسٍ﴾.. فإذا أريد بالكأس إناءُ الخمر فالإضافة لأدنى ملابسة؛ أي: مزاج ما فيها، وإذا أريدت الخمرُ فالإضافة مِن إضافة المصدر إلى مفعوله"[5]، "والمراد بـ﴿مِزَاجُهَا﴾: خليطها. مِن المزج بمعنى: الخلط. يقال: مزجت الشَّيء بالشَّيء، إذا خلطته به"[6].

مُـزِج بالكافور خـمـرُ الجـنَّـة، فـعـظُـمـتْ به اللَّذَّةُ المطمئنَّة

الغرض من تنكير: ﴿كَافُورًا﴾:

أوثر تنكير ﴿كَافُورًا﴾ لتعظيمه في نوعه؛ فقد "عُلِم ما في الكافور مِن التَّبريد والرّائحة الطَّيِّبة، مع ما يُضاف إلى ذلك مِن اللَّذّاذة في الجنَّة"[7] "وهذا الكافور في غاية اللَّذَّة، قد سَلِمَ مِن كلِّ مكدِّرٍ ومنغِّصٍ موجودٍ في كافور الدُّنيا؛ فإنَّ الآفة الموجودة في الأسماء التي ذكر الله أنَّها في الجنَّة - وهي في الدُّنيا - تُعدَم في الآخرة"[8].

كـافـور الـجـنَّـة غاية في الطِّيب، وسُـمِّـي بـما يُعرَف للتَّقريب

تنوُّع موقع ﴿عَيْنًا﴾ مِن الإعراب، وأثره في ثراء المعنى:

لا خلاف بين القُرّاء في قراءة ﴿عَيْنًا﴾ بالنَّصب، وإنَّ نصْبها يحتملُ أوجهًا:

ثـراء الـدَّلالات بـتـعـدُّد الـتَّـوجـيـهـات، واخـتـلاف التَّأويلات

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 381.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 15/ 170.
(3) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 262.
(4) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 30/ 744، والشِّربينيُّ، السِّراج المنير: 4/ 451.
(5) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 380.
(6) طنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 218.
(7) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 8/ 287.
(8) السَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 901.

أحدُها: أن يكون ﴿عَيْنًا﴾ بدلًا مِن ﴿كَأْسٍ﴾ على المحلِّ، على قول مَن قال: الكافور هنا هو الذي مِن الطِّيب، وإنَّما مُزِج بها الكافور لِطيب ريحِه وبَرْدِه، وفي الكلام حذفُ مضاف. والتَّقدير: يشربون خمرًا خمرَ عيْنٍ.

والثّاني: أن يكون ﴿عَيْنًا﴾ بدلًا مِن ﴿كَافُورًا﴾ على قول مَن قال: الكافور عينٌ في الجنَّة اسمُها (كافور). والمعنى: كان مِزاجُ هذه الخمرِ مِن كافور؛ أي: مِن هذه العَيْن، فحُذِف الجارُّ، ونُصِب الاسمُ.

والثّالث: أن يكون ﴿عَيْنًا﴾ حالًا مِن قوله: ﴿كَافُورًا﴾ على قول مَن جعله اسمًا عَلَمًا لِعَيْن في الجنَّة، كأنَّه قيل: كان مِزاجُها جاريةً أو نابعةً.

والرّابع: أن يكون ﴿عَيْنًا﴾ تمييزًا على هذا القول، وهو الجيِّد لما فيه مِن إيضاح (كافور) وتفسيرِه له؛ لأنَّ في (كافور) إبهامًا كما في عشرين ونحوه. فكأنَّه قيل: وما ﴿كَافُورًا﴾؟ فأجيب: ﴿عَيْنًا﴾.

والخامس: أن يكون ﴿عَيْنًا﴾ مفعولًا به، بإضمار فعل يدلُّ عليه ﴿يَشْرَبُونَ﴾، أو بإضمار (أعني).

والسّادس: أن يكون ﴿عَيْنًا﴾ منصوبًا على المدح؛ أي: أمدح أو أخُصُّ، فهذه ستَّة أوجه في نصبها[1]."وكلُّ ما سبق يقتضيه الإعجازُ لهذا القرآن العظيم. والمقصود: أنَّ الأبرار يشربون في الجنَّةِ مِن عينٍ نضّاخة بشراب ممزوج بالكافور، وقد جمع بين التَّبريد والرّائحةِ الطَّيّبة واللَّذاذة الرّائعة"[2].

الغرض من تنكير ﴿عَيْنًا﴾:

أوثِر تنكير ﴿عَيْنًا﴾ لتعظيمها في نوعها، فإنَّ عينًا صفتها أنَّها تحقّق الرِّيَّ مع اللَّذَّة، وتُشَقُّ حيث شاء مُفجِّرها ومتى شاء لَهيَ حقًّا عينٌ عظيمة الشَّأن، جليلة القدر.

(1) المنتَجَب الهمدانيُّ، الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد: 6/ 291.
(2) مأمون حموش، التَّفسير المأمون: 8/ 284.

نكتة وصف ﴿عَيْنًا﴾ بالجملة الفعليَّة ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾، ونكتة مجيء فعلها مضارعًا:

نعيم الجنَّة دائمٌ يتجدَّد، لا يتكرَّر ولا يتبدَّد

الجملة الفعليَّة موضوعة لإفادة التَّجدُّد والحدوث في زمن معيَّن مع الاختصار[1]؛ ولذا أوثر وصف العين بالجملة الفعليَّة لإفادة تجدُّد فعل الشُّرب مِن أهل الجنَّة، كما تدلُّ عليه صيغة المضارَعَة، وهذا هو المناسب في سياق وصف النَّعيم، فلا هم سئموها، ولا هي نضبت، بل يتجدَّد لهم في كلِّ كأسٍ منها طعمٌ لذيذ لم يعهدوه، جديد لم يذوقوه، فنِعمَ المنعِم ونِعمَ المنعَم!.

معنى الباء ودلالتها في ﴿بِهَا﴾:

يشربون الخمر ممزوجًا بالكافور، وكؤوسها عليهم تدور

الأصل في معنى (الباء) أنَّه موضوع للدَّلالة على الإلصاق[2]. وهو هنا بهذا المعنى، وعُدِّي به الفعلُ ﴿يَشْرَبُ﴾؛ "لأنَّ الكافور يُمزَج به شرابُهم؛ أي: عينًا يشرب عبادُ الله ماءَهم وخمرَهم بها؛ أي: مصحوبًا بمائها وخمرِها"[3]؛ "أي: يشربون بها الخمرَ لكونها ممزوجةً بها كما تقولُ: شربتُ الماءَ بالعسل، فيكون كنايةً عن قوَّتها في لذَّتها، وعلى هذا فيه إشارة إلى أنَّ المقرَّبين الأقوياء يشربون شرابَ الكافور صِرْفًا غير ممزوج"[4]؛ ولهذا "وُصِل فعلُ الشُّرب بحرف الابتداء أوَّلًا، وبحرف الإلصاق آخرًا"[5] وثَمَّ وجه آخر، وهو أنَّه "ضُمِّن ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى (يُروَى) فعُدِّي بالباء"[6]، و"لو قيل: (يشرب منها) لم يدلَّ على الرِّيِّ، فضُمِّن ﴿يَشْرَبُ﴾ معنى (يُروَى)؛ فعُدِّي بالباء، فقيل: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ فأفاد ذلك أنَّه شُربٌ يحصل معه

(1) القزوينيُّ، الإيضاح: 2/ 133، والهاشميُّ، جواهر البلاغة، ص: 66.
(2) سيبويه، الكتاب: 4/ 217، والزَّمخشريُّ، المفصَّل، ص: 381، وابن يعيش، شرح المفصَّل: 4/ 474، والسّامرّائيُّ، معاني النَّحو: 3/ 19.
(3) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 218، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 381.
(4) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 263.
(5) الزَّمخشريُّ، الكشّاف: 4/ 668.
(6) أبو حيّان، البحر المحيط: 10/ 360، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 170 - 171.

الرِّيُّ"[1] "وقيل: ضُمِّن ﴿يَشۡرَبُ﴾ مَعْنى (يلْتَذُّ)"[2]، فصار "كأنَّه قال: يشربون منها فيلتذّون بها"[3]، أو هي إشارةٌ إلى أنَّ العين التي يشرب منها عبادُ الله، هي خمرٌ وكأسٌ معًا - إذ يشربون بهذه العين التي هي خمر - يشربون الخمرَ ذاتَها، وهذا يعني أنَّ هذا الشَّراب الذي ينبع مِن تلك العين - لصفائه، ورِقَّته، وشعشعة أضوائه - قد امتزج بالكأس، فصارا معًا كيانًا واحدًا، لا يدري النّاظرُ إليهما، أينظر إلى كأس أم إلى خمر! فكلاهما أصفى مِن الهواء، وأرقُّ مِن الشُّعاع.

الغرض من تقديم شبه الجملة ﴿بِهَا﴾ على الفاعل:

حَـريَّـةٌ الـعـينُ المـوصـوفـةُ بـالـتَّـقـديـم؛ تنويهًا بالمبالغة في التَّكريم

أوثِر تقديم شبه الجملة على الفاعل في قوله تعالى: ﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾؛ لإفادة الاهتمام بالمقدَّم، فهذه العينُ المذكورة قد وُصِفت بأوصافٍ تجعلها حريَّةً بأنْ تقدَّم اهتمامًا بها، وللفت الأنظار إليها تنويهًا بشأنها.

الغرض مِن تعريف المسند إليه بالإضافة إلى الاسم الجليل ﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾:

الإضـافـة إلى الاسم العظيم تشريفٌ وتكريم

في إضافتهم إلى الله ﷻ تشريفٌ وتكريم لهؤلاء الصَّفوة الكرام مِن النّاس، وإضافةُ التَّكريم إلى اسمه الأعظم مختصَّةٌ بالمؤمِن في الغالب؛ كالإضافة إلى كناية التَّكلُّم، كقوله: ﴿يَٰعِبَادِيَ﴾ [العنكبوت: 56]؛ فهُم عبادُه، وهُم أهلُ وُدِّه؛ لرعايتهم حقَّ الرُّبوبيَّة، فمَن لم يُراعِه فكأنَّه ليس بعبدٍ له[4].

الغرض من وضع المظهَر ﴿يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ موضع المضمَر:

وصف العبوديَّة الـحـقَّـة لـلـه فـخـار، لا يناله إلّا الأبرار

قوله تعالى: "﴿عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ مرادٌ بهم: الأبرارُ. وهو إظهارٌ في مقام الإضمار؛ للتَّنويه بهم بإضافة عبوديَّتهم إلى الله تعالى إضافةَ

(1) ابن أبي العزّ، تفسير القرآن: 121/ 60.
(2) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 71.
(3) الطِّيبيُّ، حاشية على الكشّاف: 16/ 190، والبيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 270.
(4) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 263، وعبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1357.

تشريف"[1]؛ "فعُبِّر عنهم بذلك لتشريفهم وتكريمهم حيث أضافهم سبحانه إلى ذاته"[2]، ووصفهم بالعبوديَّة تكريمًا لهم وتشريفًا، وفيه معنى الاختصاص[3].

سر الوصف لـ ﴿عَيْنًا﴾ بجملتين: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ و﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾:

كـثرة النُّعوت والأوصـاف؛ تفنُّنًا في النَّعيم والإلطاف

وُصِفت ﴿عَيْنًا﴾ في هذه الآيات بوصفين: أحدهما قوله تعالى: ﴿يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾، والآخر قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾، وهذان الوصفان يقرِّبان وصف هذه العين التي خلقها الله تعالى ليتنعّم بها أهل الجنَّة، فهي **أوّلًا:** يشرب منها عباد الله حتَّى الرِّيّ واللَّذَّة، يتكرَّر منهم الشُّرب والتَّروِّي والتَّلذُّذ، فلا ينقطع ذاك أبدًا.

ولمّا كان مِن الوارد أن يُظَنَّ أنَّ هذه العين إنَّما يُذهَب إليها ليُرتَوَى منها، وقد يُتَصَوَّر في الذَّهاب حصولُ مشقَّة تُنافي مقصد التَّنعُّم - جاء الوصف الثّاني مزيلًا لهذا الوهم، فقال الله سبحانه: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾؛ "أي: يُثيرونها مِن منابعها في روض الجنَّة إثارةً مبهجة، تفنُّنًا في النَّعيم"[4]، فهُم "يسيِّرونها ويُجْرونها إلى حيث يريدون، وينتفعون بها كما يشاؤون، ويتبعهم ماؤها إلى كلِّ مكان يتَّجهون إليه، فالتَّعبير بقوله: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ إشارةٌ إلى كثرتها وسعتها وسهولة حصولهم عليها. يقال: فجَّر فلانٌ الماء، إذا أخرجه مِن الأرض بغزارة"[5].

دلالة التَّعبير بـ: ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾ مادة وصيغة:

عـيـون الـجـنَّـة دائمة التَّفجُّر، لا يبلغها الحدسُ ولا التَّصوُّر

التَّعبير بالمضارع يفيد التَّجدُّد والاستمرار، وهذا ما يظهر في قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾؛ "أي: أنَّها عين تتفجَّر دائمًا كلَّما أرادوا أن

(1) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 381.
(2) طنطاوي، التَّفسير الوسيط: 15/ 218.
(3) ابن جزيّ، التَّسهيل لعلوم التَّنزيل: 2/ 437، والدُّرَّة، تفسير القرآن وإعرابه: 10/ 343.
(4) القاسميُّ، محاسن التَّأويل: 9/ 375.
(5) طنطاويُّ، التَّفسير الوسيط: 15/ 219.

يشربوا مِن خمر هذه العيْن. فما هي إلّا همسةُ خاطرٍ حتَّى تنبع العيْن، ويتفجَّر منها الخمر، على هيئة كؤوس تتناولها الأيْدي مِن قريب"[1]. "وهي عينٌ دائمة الفيضان والجريان، يُفجِّرها عباد الله تفجيرًا، أنَّى شاؤوا، وكيف أرادوا، فإن شاؤوا صرفوها إلى البساتين الزّاهرات، أو إلى الرِّياض النّاضرات، أو بين جوانب القصور والمساكن المزخرفات، أو إلى أيِّ جهةٍ يرونها مِن الجهات المونقات"[2] وعبر بالتضعيف لأن "التَّفجير: الإجراء. يقال: فجَرت الماءَ أفجُرُه - بالضَّمّ - فجْرًا فانفجر؛ أي: سُقتُه وأجريتُه فجَرَى"[3]، فالتَّشديد فيه يفيد الكثرة. "والمعنى: يُجْرونها حيث شاؤوا مِن منازلهم كما يفيده بناء التَّفعيل"[4].

الغرض من إسناد الفعل لضمير الجماعة ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾:

جـمـيـع أهـل الجنَّة منعَّمون، وهم في الغرفات مُكرَمون

قوله تعالى ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾؛ أي: يُجْرونها حيث شاؤوا إجراءً سهلًا، وهذا متفهَّم مِن إسناد التَّفجير إلى عباد الله وهم الأبرار؛ أي: يُجْرون مِن منازلهم حيث شاؤوا مِن جنَّتهم[5] فكلُّ واحدٍ منهم منعَّم، وكلُّ واحدٍ يُجري العين حيث شاء.

بلاغة الاستعارة في قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا﴾:

يُـجـري الأبـرارُ الأنـهـارَ أنَّى شـاؤوا، حيثما ذهبوا أو جاؤوا

"التَّفجير: فتح الأرض عن الماء؛ أي: استنباط الماء الغزير. وأُطلِق هنا على الاستقاء منها بلا حدٍّ ولا نضوب، فكان كلُّ واحد يفجِّر لنفسه ينبوعًا. وهذا مِن الاستعارة. وأُكِّد فعل ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا﴾ ترشيحًا للاستعارة"[6]، "فالتَّفجير مجازٌ عن الإجراء؛ لأنَّه لازمٌ له إجراءٌ سهلٌ مستفادٌ مِن التَّأكيد بقوله: ﴿تَفْجِيرًا﴾"[7].

(1) عبد الكريم الخطيب، التَّفسير القرآنيُّ للقرآن: 15/ 1358.
(2) السَّعديُّ، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 901.
(3) محيي زاده، حاشية على تفسير البيضاويّ: 8/ 434.
(4) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 263.
(5) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 478.
(6) ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 382.
(7) القونويُّ، حاشية على تفسير البيضاويّ: 19/ 478.

سر التَّقييد بالمفعول المطلَق ﴿تَفۡجِيرًا﴾:

لا يصعب على أهل الجنَّة شقُّ نهر، ولا إجراء عيْن

قوله تعالى: ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفۡجِيرًا﴾؛ "أي: يُجرونها حيثما شاؤوا مِن منازلهم إجراءً سهلًا لا يمتنعُ عليهم، بَلْ يَجْري جريًا بقوَّة واندفاع"[1]؛ "لأنَّ الأنهار منقادةٌ لأهل الجنَّة كالأشجار وغيرها، فـ﴿تَفۡجِيرًا﴾ مصدر مؤكِّد للفعل المتضمّن معنى السُّهولة"[2]، فتنكير ﴿تَفۡجِيرًا﴾ للتَّنويع[3]، وهو كذلك مفيد للتَّكثير[4].

نكتة إيثار الإطناب في ذكر ثواب الأبرار، والإيجاز في ذكر جزاء الكافرين:

النُّفوس بعد كسر الوعيد تهتزُّ لأدنى وعدٍ وأقلِّه، فكيف بأتمِّه وأجلِّه

أوثر الإطناب في ذكر ثواب الأبرار؛ "لأنَّ اللَّه فصَّل أعمالهم في عدَّة آيات: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ﴾، ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمًا﴾، ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾، ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا﴾، فذكر أعمالًا مُتعدِّدة، فكان مقابل ذلك أنْ يُذكَر جزاؤهم مُفصَّلًا كما ذُكِرتْ أعمالُهم مُفصَّلة. أمّا الكفّار فذُكِرتْ أعمالُهم مُجمَلة، وكان مُقابل ذلك أنْ يُذكَر جزاؤهم مُجمَلًا"[5] وكان وجه المناسبة في ذلك أنَّه "لمّا أوجز في جزاء الكافر أتبعه جزاءَ الشّاكر وأطنب فيه تأكيدًا للتَّرغيب؛ فإنَّ النُّفوس بعد كسر الوعيد لها تهتزُّ لأدنى وعدٍ وأقلِّه، فكيف بأتمِّه وأجلِّه؟!"[6].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الكأس والقدح:

الفرق بينهما أنَّ الكأس لا تكون إلا مملوءة، والقدح قد تكون مملوءة أو غير مملوءة[7].

(1) البيضاويُّ، أنوار التَّنزيل: 5/ 270، وأبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 9/ 72، والبروسويُّ، روح البيان: 10/ 262.
(2) البروسويُّ، روح البيان: 10/ 263، والهرريُّ، الحدائق: 30/ 486.
(3) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 8/ 287، والآلوسي، روح المعاني: 15/ 171.
(4) العزُّ بن عبد السَّلام، تفسير القرآن: 3/ 400.
(5) العُثَيمين، تفسير جزء قد سمع وتبارك: 14/ 357.
(6) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 21/ 135 - 136.
(7) العسكريُّ، الفروق اللُّغوية، ص: 314.

والكأس: الزُّجاجة ما دام فيها خمرٌ، فإذا لم يكن فيها خمرٌ فهي قدح[1]؛ فأوثِر في هذه الآية لفظُ (الكأس) دون (القدح)؛ لأنَّ في لفظ (الكأس) امتناعَ كون الإناء فارغًا؛ أي: لا يُحتمَل معه أن تكون الزُّجاجةُ فارغةً.

المزج والخلط:

الخلطُ أعمُّ مِن المزج

الفرق بينهما أنَّ الخلطَ أعمُّ من المزج؛ فإنَّ الخلط - كما سبق- جمعٌ بيْن شيئيْن فأكثر، سواء كانا مائعَيْن أم جامدَيْن، أم كان أحدُهما جامدًا والآخرُ مائعًا، أمّا المزج فإنَّه يختصُّ بالمائعات[2]؛ فتقول: خلطت بين القمح والشَّعير، ولا تقول مزجتُ بينهما. وبعد الخلط قد يمكن التَّمييز كما في خلط الحيوان، وربَّما لا يمكن كخلط المائعات فيكون مزجًا[3].

فأوثر في هذه الآية (المِزاج)؛ لأنَّ الخمرَ يُمزَج بها الكافور، والكافور: هو اسم عينِ ماءٍ في الجنَّة؛ أي: يمازجه ماء هذه العين التي تُسمَّى كافورًا؛ فهما مائعان؛ لذا أوثِر معهما ما اختصَّ بالمائعات.

التَّفجير والانبجاس:

التَّفجير شَقُّ الشَّيء شَقًّا واسعًا، والانبجاس أكثر ما يقال في ما يخرج مِن شيءٍ ضيِّق. الباء والجيم والسّين: تَفتُّح الشَّيء بالماء خاصَّة[4].

والفاء والجيم والرّاء أصلٌ واحدٌ، وهو التَّفتُّح في الشَّيء[5]. والتَّفجير: شَقُّ الشَّيء شَقًّا واسعًا. والانبجاس أكثر ما يقال في ما

(1) ابن منظور، لسان العرب، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (كأس)، والزَّمخشريُّ، الكشّاف: 6/ 667، وابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 29/ 380.
(2) الرّاغب الأصفهانيُّ، المفردات، والسّمين الحلبيُّ، عمدة الحُفّاظ: (خلط).
(3) الفيوميُّ، المصباح المنير: 1/ 177.
(4) ابن فارس، المقاييس: (بجس).
(5) ابن فارس، المقاييس: (فجر).

يخرج مِن شيءٍ ضيِّق، والانفجار يُستَعمَل فيه وفي ما يخرج مِن شيء واسع[1]؛ فالانفجار أعمُّ[2] فأوثِر في هذه الآية لفظ (التَّفجير) دون (البَجْس)؛ لأنَّ التَّفجيرَ يدلُّ على شَقٍّ واسعٍ وعلى غزارةِ الخَمر الخارجةِ مِن العين.

(1) الراغب، المفردات، والسّمين الحلبي: (بجس).
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (بجس).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والستون،
من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 65 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-646-17-4
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 65 : المجلد الخامس والستون، من سورة القِيَامة إلى سورة النَّازعَات الآية 26.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-646-17-4
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-2525407 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"